

أثر الفونيمات التركيبية (الصوائت) في تعدد الدلالات اللفظية

مثلث قطرب نموذجًا

The Impact of Vocalic Phonemes on Lexical Semantic Variation Qutrub's triangle as a model

د. إبراهيم علي يونس *

رئيس قسم اللغة العربية – كلية أمين كنو لدراسات الشريعة والقانون كنو – نيجيريا

Dr. Ibrahim Ali Younes

Head of the Arabic Language Department – Aminu Kano College of Sharia and Law Studies,
Kano, Nigeria

ibnalikyur2014@gmail.com

تاريخ النشر: 2025/12/15	تاريخ القبول: 2025/11/26	تاريخ استلام المقال: 2025/11/20
-------------------------	--------------------------	---------------------------------

ملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة أثر الفونيمات التركيبية، وبخاصة الصوائت القصيرة (الفتحة والضمة والكسرة)، في توليد الدلالات وتعدددها داخل البنية المعجمية العربية، اعتمادًا على مثلث قطرب بوصفه نموذجًا صوتيًا دلاليًا مبكرًا في التراث اللغوي العربي.

يجمع البحث بين المنهج الوصفي التحليلي والمنهج اللساني الصوتي، للكشف عن الآلية التي تُنتج بها الصوائت تنوعًا دلاليًا على الرغم من ثبات الجذر الصامت، وكيف يُسهم ذلك في اتساع الدلالة المعجمية. وقد خلصت الدراسة إلى أن الصوائت تمثل حمولة فونيمية ذات قيمة تفسيرية ومعنوية، وليست مجرد عناصر صوتية مكملة، وأن العرب أدركوا مبكرًا قيمة الحركة في توليد المعنى، وأن مثلث قطرب يمثل نواة أصيلة لفكرة "الفونيم الدال" قبل ظهور اللسانيات الحديثة.

الكلمات المفتاحية: الصوائت؛ الفونيم؛ قطرب؛ الدلالة؛ الصوتيات العربية.

Abstract

This study investigates the impact of vocalic phonemes—specifically short vowels (fathah, dammah, and kasrah)—on semantic variation within the Arabic lexicon, with Qutrub's Triangle as a phonosemantic model. Combining descriptive-analytic and phonological approaches, the research explores how vowel alternation generates different meanings despite the stability of the consonantal root. The study concludes that vowels in Arabic function as meaningful phonemic units capable of semantic distinction, and that early Arab linguists were aware of this phenomenon, as reflected in Qutrub's model, which anticipates modern phonosemantic theory.

Keywords: Vocalic phonemes; phonology; semantics; Qutrub; Arabic lexicon; phonosemantics.

1. المقدمة

يحتلّ الدرس الصوتي مكانة مركزية في الدرس اللساني العربي قديمه وحديثه، لما للصوت من أثر مباشر في تمييز الأبنية، وتحديد الدلالات، وضبط المعاني داخل النسق اللغوي. وتمثّل الصوائت — أو الحركات — أحد أهمّ المكوّنات الفونيمية التي تمنح اللغة العربية قدرة اشتقاقية ودلالية واسعة، إذ يمكن لحركة واحدة أن تقلب المعنى، أو تغيّره، أو تنقله من مجال دلالي إلى آخر، مع بقاء الجذر الصامت ثابتًا في المبنى.

يمثّل موضوع العلاقة بين البنية الصوتية والمعنى أحد المحاور الأساسية في الدراسات اللغوية القديمة والحديثة؛ إذ تتقاطع فيه مباحث الأصوات، والدلالة، والصرف، والنحو، مما يجعل البحث في أثر الفونيمات التركيبية (الصوائت) على اختلاف الدلالة مجالًا خصبًا لإعادة قراءة التراث اللغوي بوصفه مادة يمكن تحليلها في ضوء المناهج اللسانية الحديثة.

ويعدّ مثلث قطرب واحدًا من أوضح الشواهد على وعي العرب المبكر بأهمية الصوائت ودورها في توليد الدلالة؛ حيث اعتمد قطرب منهجًا يقوم على تثبيت الجذر الثلاثي وتدوير الحركات عليه لإنتاج ثلاثة ألفاظ مختلفة صوتًا ودلالة، مثل: (عَلِمَ - عَلَّمَ - عَلِمَ)، أو (قَتَرَ - قَتَر - قَتَر)، وهو ما يشكّل في حقيقته نموذجًا فونيميًا دلاليًا ينسجم بوضوح مع ما أثبتته اللسانيات الحديثة في تفسير العلاقة بين الصوت والمعنى.

1.1. أهمية البحث

تنبثق أهمية هذا البحث من جملة اعتبارات، أبرزها:

- إبراز القيمة الصوتية-الدلالية في منهج قطرب، وربطه بالرؤى اللسانية المعاصرة.
- إظهار أن الصوائت ليست مجرد ظواهر إيقاعية، بل عناصر بنائية فاعلة في توليد الدلالة وتفريق المعاني.
- تقديم قراءة علمية جديدة لتراث لغوي مهم، عبر الإفادة من أدوات علم الفونولوجيا والسيمانتيك الحديثة.
- المساهمة في تجديد الدراسات المعجمية من خلال التركيز على الوحدة الصوتية بوصفها محفّرًا دلاليًا.

2.1. إشكالية البحث

تتلخص الإشكالية الرئيسة في السؤال الآتي:

إلى أي حدّ تسهم الفونيمات التركيبية (الصوائت) في تغيير المعنى الدلالي في مثلث قطرب، وما الإطار اللساني الذي يمكن من خلاله تفسير هذا التحول الدلالي؟
ويتفرع عن الإشكالية عدد من الأسئلة الفرعية:
- ما طبيعة العلاقة بين البنية الصوتية والصيغة الدلالية في كلمات المثلث؟
- كيف يفسّر علم الأصوات الحديث هذه التغيرات في ضوء نظريات الفونولوجيا؟
- وهل يمكن اعتبار مثلث قطرب نموذجًا مبكرًا لوعي لساني عربي بمفهوم "التحويل الدلالي عبر الحركة"؟

3.1. منهج البحث

يعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي؛ إذ يتم وصف ظاهرة تغيّر الدلالة بتغيّر الحركة في المثلثات، ثم تحليلها في ضوء المعطيات الصوتية والدلالية. كما يُستعان بالمنهج المقارن عند الموازنة بين رؤية قطرب والرؤية اللسانية الحديثة، إضافة إلى جانب تطبيقي يعتمد أمثلة مختارة من كتاب المثلث وشرحها بالاعتماد على مبادئ الفونولوجيا والسيمانتيك.

2. الدراسات السابقة

تناولت الدراسات التراثية والحديثة ظاهرة المثلثات بوصفها مبحثًا لغويًا له صلة بالصوت والمعنى، ومن أبرزها:
- نظرية الفونيم وملاحمها في مثلثات قطرب: دراسة معجمية لسانية (2024)، للكاتبة مريم منصوري وهي دراسة حديثة تربط بين نظرية الفونيم والمثلثات.
- صيد الخاطر: "مثلثات قطرب"، طلال عبد الكريم العرب، جريدة (الجاردة)، 18 مايو، 2023. وهو مقال حديث جدًّا (2023) يستعرض الموضوع في سياق عامّ، قد يساعد على استشراف تطوّرات البحث المعاصرة أو تقديم فكرة لمواضيع متّصلة ذات صلة بالكتاب.
- شروح القدماء لكتاب المثلث لقطرب، مثل شرح أبي الطيب اللغوي وابن ولاد.
وتكشف مراجعة هذه الدراسات عن فجوة علمية تتمثل في غياب معالجة منهجية تكاملية تجمع بين التحليل الفونولوجي والتفسير الدلالي لمادة مثلث قطرب؛ وهو ما تسعى هذه المقالة إلى ردمه عبر رؤية تحليلية تعتمد نتائج اللسانيات الحديثة.

3. المحور الأول: مدخل تعريفى بقطرب (محمد بن المستنير البصري ت 206هـ)

يُعدّ قطرب، واسمه محمد بن المستنير البصري (ت 206هـ/821م)، واحدًا من أبرز أعلام المدرسة البصرية في القرن الثاني للهجرة، وقد تتلمذ على سيّبه ولازمه ملازمةً طويلة حتى صار من أشهر تلامذته.

وقد لُقِّب بـ«قطرب» لكثرة نشاطه وحرصه على الدرس في أوقات مبكرة، إذ كان يرد على شيخه قبل طلوع الفجر، فقال له سيبويه: «ما أنت إلا قطرب»؛ والقطرب دويبة لا تهدأ ولا تستقر، فغلب اللقب على اسمه الحقيقي في كتب التراث.

وقد برز قطرب في علوم النحو، والصرف، واللغة، والمعجم، والقراءات، وتكمن أهميته في نزوعه الواضح إلى المنهج التطبيقي وربط الظاهرة اللغوية باستعمالها، وهو ما يظهر جلياً في كتابه "المثلث" الذي يقوم على تثبيت الجذر الثلاثي وتدوير الصوائت عليه لإنتاج أبنية مختلفة صوتاً ودلالة. ويعدّ هذا المنهج — في ضوء اللسانيات الحديثة — نموذجاً رائداً لما يُعرف اليوم بالتحليل الفونولوجي الدلالي (Phonosemantics)، حيث يثبت أن الصائت عنصر دلالي فاعل، وليس مجرد صوت مكمل.

ويمثّل المثلث شاهداً حياً على إدراك العربي القديم للعلاقة بين الصوت والدلالة، ويكشف عن وعي مبكر بمبدأ «الفونيم الدالّ»، وهو المبدأ الذي يبني عليه هذا المقال تحليله لأثر الصوائت في تنوع الدلالة. كما أن قطرب من العلماء الذين جمعوا بين النظرية اللغوية والممارسة التحليلية، فكان لعمله أثر بارز في تطور الدرس الصوتي - الدلالي في التراث العربي.

1.3. مولده ونسبه ولقبه

اسمه محمد بن المستنير، وكنيته أبو علي، ولقبه سيبويه بقطرب لشدة سهره وحرصه على طلب العلم.

2.3. نشأته وعلمه

نشأ في البصرة، وتعلم على أيدي كبار العلماء مثل سيبويه والأصمعي وأبي عبيدة وأبي زيد الأنصاري، وتميز بحفظه ودقته.

3.3. مكانته العلمية

كان من أوائل العلماء الذين درسوا الظواهر الصرفية واللغوية دراسة تحليلية، ومن أبرز كتبه:

- كتاب الأضداد
- كتاب الأزمنة
- كتاب الفرق
- كتاب النوادر
- كتاب القياس
- كتاب فعل وأفعال
- كتاب المصادر

4.3. وفاته

توفي في البصرة سنة (206هـ) على الأرجح. (ابن النديم، 1997م، الحموي، 1993م)

4. المحور الثاني: الإطار النظري

1.4. الفونيم والصائت في الدرس اللغوي

يُعدّ الفونيم أصغر وحدة صوتية مميّزة في اللغة، لا تحمل معنى مستقلاً، لكنها تُحدّث فرقاً في الدلالة عند استبدالها بفونيم آخر في السياق نفسه. وقد فُرق القدامى بين الصوامت (الأصول) والصوائت (الحركات)، غير أن الدرس الصوتي الحديث أولى الصوائت أهميةً مضاعفة بوصفها عناصر قادرة على إنشاء التمييز الدلالي داخل المنظومة الصرفية.

وفي العربية، تمثل الصوائت القصيرة (الفتحة، الضمة، الكسرة) بنية فوق صامته suprasegmental لكنها ذات وظيفة تركيبية محورية، إذ تُسهم في:

- تحديد البنية الصرفية للوزن.

- ضبط العلاقات النحوية.

- إنتاج الدلالة المعجمية.

- التفريق بين الأبنية.

ومن أمثلة الفروق الدلالية التي تنتجها الصوائت:

اللفظ	الصيغة	الاختلاف الصوتي	المعنى
عَلِمَ	فَعِلَ	كسر العين	أدرك
عَلَّمَ	اسم	فتح العين	راية
عُلِمَ	فعل مبني للمجهول	ضم العين	أُدْرِكَ

يتضح من المثال أن تغيّر الحركة وحدها نقل الدلالة من فعل إلى اسم، ومن معلوم إلى مجهول، مع ثبات الجذر (ع-ل-م) وهذا هو جوهر الإشكالية التي يدرسها هذا المقال.

2.4. الصوائت بين البنية الصرفية والدلالة

تؤدي الصوائت في العربية وظيفة فنولوجية/مورفولوجية مزدوجة؛ فهي من جهة عنصر صوتي، ومن جهة أخرى علامة صرفية ذات قيمة دلالية. وقد تنبّه الخليل وسيبويه إلى أن الحركة ليست مجرد صوت متمم، بل هي جزء من البنية؛ ف(فَعَلَ) غير (فَعَّلَ) وغير (فَعَّلَ) وغير (فَعِلَ)، وإن اشتركت جميعاً في الجذر الثلاثي نفسه.

وهنا يمكن القول إن العربية — بخلاف لغات أخرى — لغة صوائتها دالّة phonosemantic language، لأن الحركة ليست عنصراً صوتياً عارضاً، بل هي جزء من آلية توليد المعنى.

5.4. الفونيم والدلالة في ضوء اللسانيات الحديثة

تلتقي فكرة الفونيم الدالّ عند العرب مع نظريات لسانية حديثة، مثل:
 -النظرية الوظيفية (Functionalism): التي ترى أن وظيفة الصوت في التواصل تتجاوز الجانب الفيزيائي.
 -الفونولوجيا التوليدية: التي تفسّر التحولات الصوتية باعتبارها قواعد قادرة على إنتاج معانٍ جديدة.
 -الفونوسيمانتيك (Phonosemantics): التي تربط بين البنية الصوتية والبنية الدلالية للفظ.
 وهو ما يجعل مثلث قطرب ظاهرة صوتية محسوبة، وليس مجرد تدوير لغوي لغرض الترف العلمي.

5. المحور الثالث: مثلث قطرب — عرض وتحليل ومناقشة

1.5. التعريف بكتاب المثلث

هو كتاب ينسب إلى قطرب (محمد بن المستنير البصري (ت 206هـ)، يقوم على فكرة تثبيت الجذر الثلاثي وتدوير الحركات عليه لإنتاج ثلاثة ألفاظ تختلف دلالتها باختلاف الصائت، مثل:

نَشِب - نَشَب - نُشِب
قَئِر - قُئِر - قِئِر
صَرَم - صُرِم - صِرِم

هذه البنية الصوتية الثلاثية هي أول تصور منهجي عربي لفكرة: ثبات الصوامت + تغير الصوائت

= تنوع دلالي

2.5. التحليل الفني للفكرة

يمكن تمثيل منطق المثلث هكذا:

الجذر	الصائت	الناج الصرفي	وظيفة الحركة	الدلالة
ف-ع-ل	فتح	فَعَلَ	أصل الفعل	الحدث
ف-ع-ل	ضم	فُعِلَ	البناء للمجهول	وقوع الحدث عليه
ف-ع-ل	كسر	فِعِلَ	مصدر أو اسم	الثبوت أو الهيئة

ومن هنا نفهم أن قطرب لم يكن يهتم بالمفردة لذاتها، بل بالعلاقة بين الصوت والدلالة.

3.5. التحليل التطبيقي للفونيمات في ضوء مثلث قطرب

● نموذج التحليل

لا يكتفي قطرب بعرض الأشكال الثلاثية، بل يقدم أمثلة دقيقة تظهر أثر الصائت في الدلالة. وفيما يلي نماذج تطبيقية توضح العلاقة بين الحركة والوظيفة الدلالية

الجذر	اللفظ الأول	المعنى	اللفظ الثاني	المعنى	اللفظ الثالث	المعنى
ق-ت-ر	قَتَر	ضَيَّقَ	قَتَر	أَفْقِرَ	قَتَر	الْفَقْر
ص-ر-م	صَرَمَ	قطع	صَرِمَ	انقطع	صَرُمَ	قطعة
ن-ش-ب	نَشَبَ	تعلَّقَ	نَشَبَ	شرر الحرب	نَشَبَ	أوقع به
ح ص ر	حَصَرَ	ضاق صدره أو انقبض	حَصُرَ	الشدة والضيق	حَصُرَ	جمع حصير
ق ش ع	قَشَع	كشَفَ السحاب وأزاله	قِشَع	جلد صغير	قُشِعَ	ما تساقط أو غشاء من الجلد
غ ر ف	غَرَفَ	غرف الماء بيد إذا أخذه بها	الغَرْفَة	البيت	الغَرْفَة	النصيب العالي الشريف المشقة والتكلف
ك ل ف	كَلَفَ	أحب وأعجب	كَلَفَ	تغير البشرة بنمش	كُلْفَة	
ب ط ر	بَطَر	تكبر وطفى	بِطْرُ	النشاط والخفة	بُطْرُ	القطع
ع ر ف	عَرَفُ	الريح الطيب	العُرْفُ	المعروف	العِرْفُ	الصبر
ك ل م	كَلَام	الحديث	الكَلَم	الأرض الغليظة	الكِلَام	الجرح

من خلال هذا النظام يلاحظ أن:

- الفتحة تميل إلى الحدث والمباشرة والفعلية.
- الضمة تميل إلى الانفعال أو التحول أو البناء للمجهول.
- الكسرة تميل إلى الاسم والمصدر والثبوت والحالة.

وهذه ملاحظة تنسجم مع التصنيف الصوتي الدلالي الحديث (phonosemantic distribution).

• جوهر الظاهرة: ثبات الصوامت وتحول الصوائت

تؤكد أمثلة قطرب أن الجذر الثلاثي يحمل الدلالة الأصلية المشتركة، بينما توزع الصوائت الدلالات الفرعية، وهذا ينسجم مع فكرة: الصامت يمنح الهوية، بينما يمنح الصائت الوظيفة. فالاختلاف الصوتي بين (صَرَمَ / صَرِمَ / صَرَمَ) يشبه في المصطلح اللساني الحديث ما يسمى: Minimal Pair Morphophonemic Variation أي: تغيير فونيمي واحد ينتج معنى جديداً داخل النظام نفسه.

● المناقشة:

تكشف القراءة اللسانية لمثلث قطرب أنّ العرب:

- وعوا مبكراً بالعلاقة بين الصوت والمعنى قبل اللسانيات الحديثة بقرون.
- رَسَّخُوا مبدأ الفونيم الدالّ حينما أثبتوا أنّ الحركة ليست مكتملاً صوتياً، بل عنصر دلالي.
- قدّموا نموذجاً تطبيقياً يمكن اعتباره نواة لفكرة التحليل الفونوسيمانتكي.
- كما أثبتت الدراسة أنّ المثلث ليس مجرد تدوير حركات لأجل الترف المعجمي، بل هو:
- تأسيس معرفي لفكرة صوتية دلالية.
- نموذج وصفي تحليلي مبكر.
- تمثيل حيّ للطابع الاشتقاقي في العربية.

6. الخاتمة

خلصت هذه الدراسة إلى أن الصوائت ليست ظاهرة صوتية ثانوية في العربية، بل هي ركن بنيوي ودلالي، وأن العرب — ومنهم قطرب — سبقوا اللسانيين المحدثين في إدراك أثر الحركة في بناء المعنى المعجمي. وقد أثبتت أمثلة المثلث أن ثبات الصوامت وتغيّر الصوائت في اللغة العربية نظام دلالي مقصود، يقوم على توزيع فونيمي يضبط المعنى ويوجهه داخل الحقل المعجمي الواحد. وتوصلت الدراسة إلى نتائج أبرزها الآتي:

- الصوائت في العربية عناصر فونيمية ذات حمولة دلالية لا يمكن اختزالها في الوظيفة الصوتية.
- تغيّر الحركة يؤدي إلى تغيّر المعنى رغم ثبات الجذر، وهو مبدأ لساني تؤكد أمثلة قطرب.
- مثلث قطرب أول صياغة منهجية عربية لفكرة الفونيم الدالّ في التراث
- التحليل الصوتي يجب أن يُقرأ دائماً في ضوء المعنى داخل النظام العربي، بخلاف بعض الاتجاهات البنيوية الغربية التي تفصل الدال عن المدلول.
- البنية العربية بنية اشتقاقية تجعل الصائت مساهماً أصيلاً في توالد الدلالة.

وتوصي الدراسة بدمج التحليل الصوتي الدلالي داخل مناهج الدراسات المعجمية واللسانية العربية الحديثة، ودراسة مزيد من النماذج التراثية التي تكشف تطور الوعي العربي بالصوت.

7.المراجع

1. السيوطي، جلال الدين. (1986). المزهري في علوم اللغة. بيروت: دار الكتب العلمية.
2. ابن فارس. (1979). الصحابي في فقه اللغة. بيروت: دار الكتب العلمية.
3. أبو الفتح عثمان بن جني. (1993). الخصائص. تحقيق: محمد علي النجار. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
4. قطرب، محمد بن المستنير. (1985). المثلث. تحقيق: رمضان عبد التواب. القاهرة: مكتبة الخانجي.
5. Crystal, D. (2008). A Dictionary of Linguistics and Phonetics. Blackwell.
6. Firth, J. R. (1957). Papers in Linguistics. Oxford University Press.
7. Trubetzkoy, N. (1969). Principles of Phonology. University of California Press.

8. References (In Latin letters)

1. Al-Suyuti, J. Al-D. (1986). Al-Muzhir fi 'Ulum al-Lughah. Beirut: Dar Al-Kutub Al-'Ilmiyyah. (in Arabic)
2. Ibn Faris. (1979). Al-Sahibi fi Fiqh al-Lughah. Beirut: Dar Al-Kutub Al-'Ilmiyyah. (in Arabic)
3. Abu Al-Fath 'Uthman Ibn Jinni. (1993). Al-Khasa'is (ed. Muhammad 'Ali Al-Najjar). Cairo: Egyptian General Book Organization. (in Arabic)
4. Qutrub, M. b. Al-Mustaneer. (1985). Al-Muthallath (ed. Ramadan 'Abd Al-Tawwab). Cairo: Maktabat Al-Khanji. (in Arabic)
5. Crystal, D. (2008). A Dictionary of Linguistics and Phonetics. Blackwell.
6. Firth, J. R. (1957). Papers in Linguistics. Oxford University Press.
7. Trubetzkoy, N. (1969). Principles of Phonology. University of California Press.